وَصَايَا لُقْمَانَ

تأليف
دكتـــور
المحمـــدى عبد الرحمن
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكليـــة الدراسات الإسلامية والعربية
بنـــين ـ القـــاهرة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد

فهذا بحث فى (وصايا لقمان) التى ذكرت فى سورة من سور القرآن سميت باسمه (سورة لقمان) ، تناولت فيه الآيات التى تعرضت لخبر لقمان ووصاياه لأمته ، هى الآيات من (١٢ ـ ١٩) ، وقد تناولتها بالتفسير التحليلى والموضوعى فى الفصول التالية :

وبعد ، ، ،

الأول : تعرضت فيه لسورة (لقمان) من حيث مكيتها أو مدنيتها ، وعدد آياتها ، وموضوعاتها ، وأوجه الاتصال بما قبلها (الروم) . ثم تعرضت لشخصية لقمان ، وذكرت اختلاف العلماء فيه ، وبينت الرأى الراجح مؤيدا بالأدلة والبراهين .

الثانى : تحدثت فيه عن القصة فى القرآن باعتبار أن قصة (لقمان) من قصص القرآن ، فذكرت معنى القصة لغة واصطلاحا ، وأغراض ذكر القصة فى القرآن ، وتكرار القصة والحكمة فى ذلك ، والفرق بين القصة فى القرآن وغيرها من قصص البشر .

الثالث : خبر لقمان فى السورة وتحدثت عن موضوع يتصل به وهو شكر النعمة ، وعقبى الكنود .

الرابع : وصايا (لقمان) تناولت فيها كل وصية على حدة

بالشرح والتوضيح ، وذكرت الوصية بالوالدين مبينا أنها اعتراض أثناء وصايا (لقمان) وموضحا الغرض من ذكرها .

الخامس : بيان أساليب مناهج التربية فى وصايا (لقمان) وبيان أثر ذلك على الفرد والمجتمع .

الخاتمة : فى بيان نتائج البحث ، فان كنت قد وفقت فالحمد لله رب العالمين - (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) ، وان كانت الأخرى فمنى ومن الشيطان .

والله أسال أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه - انه حسبى ونعم الوكيل - وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم - وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المحمدى عبد الرحمن
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

الفصل الأول

قال تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد • واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم • ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير • وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروف واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فنبئكم بما كنتم تعملون • يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير • يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور • ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور • واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الأصوات لصوت الحمير » •

لقد ورد ذكر خبر (لقمان) ووصاياه فى القرآن الكريم فى سورة من سور القرآن سميت باسمه • وهى سورة مكية سوى ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة « ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام »(١) الى تمام الآيات • وقال قتادة : السورة مكية الا آيتين نزلتا بالمدينة : (ولو أنما فى الأرض) الى آخر الآيتين(٣) • وعدد آيات السورة ثلاث وثلاثون فى المكى والمدنى وأربع وثلاثون فى عدد الباقين(٤) •

---

(١) لقمان آية : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ •

(٢) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى : ٩١/١ ، روح المعانى للألوسى : ٦٤/٢١ •

(٣) البحر المحيط لأبى حيان : ١٣٨/٧ •

(٤) انظر الاتقان للسيوطى : ٩١/١ ، روح المعانى للألوسى : ٦٤/٢١ •

وسورة لقمان شانها شان السور المكية التى تعالج موضوع العقيدة ، وتهتم بالتركيز حول دعائم الايمان كما هو الحال فى السور المكية وتعنى باقامة الحجج والبراهين على وحدانية رب العالمين . وسميت السورة بـ (لقمان) ، لانه ذكر فيها خبر لقمان الحكيم ووصاياه الثمينة التى تضمنت فضيلة الحكمة ومعرفة سر الوجود الدال على وحدانية الرب المعبود .

مناسبة السورة لما قبلها

وجه مناسبتها لما قبلها أعنى سورة (الروم) أنه قال جل شانه : فيها : « **ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل** »(٥) ، وأشار الى ذلك فى مفتتح سورة (لقمان) بقوله : « **الم تلك آيات الكتاب الحكيم** »(٦) ، وفى آخر سورة الروم قال سبحانه : « **ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون** »(٧) ، وفى سورة (لقمان) قال سبحانه : « **واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا** »(٨) وكذلك مؤاخاة هذه السورة على ما قبلها فى الافتتاح بقوله (الم) وكذلك قوله فى سورة (لقمان) : « **هدى ورحمة للمحسنين . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون** »(٩) هذا متعلق بقوله فى سورة (الروم) « **وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث** »(١٠)

---

(٥) سورة الروم آية : ٦٠ .
(٦) سورة لقمان آية : ٢،١ .
(٧) سورة الروم آية : ٥٨ .
(٨) سورة لقمان آية : ٧ .
(٩) سورة لقمان آية : ٤،٣ .
(١٠) سورة الروم آية : ٥٦ .

فهذا عين ايقانهم بالآخـرة وهم المحسنون الموصوفون بما ذكـر . وكذلك يوجد فى كلتا السـورتين جمـلة من الآيات وابتـداء الخلق ، فقد ذكـر سبحانه فى سـورة (الروم) « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليـه »(١١) ، وفى سـورة (لقمـان) قـوله سبحانه : « **ما خلقـكم ولا بعثـكم الا كنفس واحـدة** »(١٢) ، وكلاهما يفيد سهولة البعث .

وذكـر سبحانه فى سـورة الروم قوله : « **واذا مس النـاس ضـر دعـوا ربهم منيبين اليه ثم اذا انفاقهم منـه رحمـة اذا فـريق منهم بربهم يشركون** »(١٣) ، وقال عـز وجل فى سـورة (لقمان) : « **واذا غشيهم مـوج كالظلل دعـوا الله مخلصين له الدين فلما نجـاهم الى البر فمنهم مقتصد** »(١٤) ، فكلتـا الآيتين تبينـان طبيعة الناس عند النعمة والنقمة

وسـور (الروم) ذكـر فيها مغلوبية الروم وغلبتهم المبنيتين على المحـاربة بين ملكين عظيمين من ملوك الدنيـا تحاربا عليهـا وخـرجا بذلك عن مقتضى الحكمة ، فان الحـكيم لا يحـارب على دنيـا دنيئـة لا تعدل عند الله جنـاح بعوضة . وهـذه سـورة لقمان ذكـر فيها قصـة حكيم زاهد فى الدنيـا غير مكترث بهـا ولا ملتفت اليهـا أوصى ابنـه بما يأبى المحـاربة ويقتضى الصـبر والمسـالمة وبين الأمـرين من التقابل ما لا يخفى(١٥) .

---

(١١) سـورة الـروم آية : ٢٧ .
(١٢) سـورة لقمـان آية : ٢٨ .
(١٣) سـورة الـروم آية : ٣٣ .
(١٤) سـورة لقمـان آية : ٣٢ .
(١٥) روح المعـانى للألوسى : ٦٥/٢١ .

من هـو لقمـان ؟

هو لقمان بن باعـوراء بن ناحـور بن تارح وهو آزر أبو ابراهيم عليـه السـلام . وقيـل : هو لقمان بن عنقـاء بن سرون وكان نوبيا من أهـل أيلة . وقال وهب : كـان ابن أخت أيوب . وقال مقـاتل : ذكـر أنه كان ابن خـالة أيوب . وقال الزمخشري : هو لقمان بن باعـوراء بن أخت أيوب أو ابن خالتـه . وقـيل : كان من أولاد آزر عاش ألف سـنة وأدركه داود عليـه السـلام وأخذ عنـه العـلم . وكان يفتي قبل مبعث داود علـيه السـلام ، فلما بعث قطـع الفتوى ، فقيـل له : فقال : ألا أكتفي اذا اكتفيت(١٦) .

وهكذا ترى أقوالا مختلفـة فى تحديد نسب لقمـان ، وهذا لا يهمنا فى كثير ..

فالنص القـرآنى لم يذكـر شيئا عن نسب لقمـان ولا عن زمـانه أو مكانه . وهـذه هى السمة المضطردة فى قصص القـرآن . فالتسجيل التاريخى ليس هو المقصود . وانمـا المقصود هو العبرة المستفـادة من القصـة . والعبرة تتحقـق بدون حـاجة الى تحـديد الزمـان والمكان أغلب الأحيـان .

والجمهـور على أنه حكيم وليس بنبى ، فعن مجاهد أنه قال : كان لقمان رجـلا صالحا ولم يكن نبيـا . وقال ابن جـرير : حدثنى ابن وكيع قال : حدثنا أبى عن أبى الأشهب عن خـالد الربعى قال : كان لقمـان عبدا حبشيا نجـارا فقال له مولاه : اذبح لنـا هـذه الشـاة فذبحها ، قال : أخـرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ثم مكث ما شـاء الله ثم قال : اذبح لنـا هذه الشـاة فذبحها فقال : أخـرج أخبث مضغتين

---

(١٦) انظر الكشاف : ٢٣١/٣ ، القرطبى : ٥٩/١١ ، دائرة معـارف القرن العشرين (وجدى) : ٣٧٠/٨ ، طـدار المعرفة ـ بيروت .

فيها فاخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ، فقال له لقمان : انه ليس من شيىء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا . وقال يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد ابن المسيب قال : كان لقمان من سودان مصر ذا مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة .

وقال الأوزاعى : حدثنى عبد الرحمن بن حرملة قال : جاء رجل أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب : لا تحزن من أجل انك أسود فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر(٢٧) .

هذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفى كونه نبيا ، ومنها ما هو مشعر بذلك ، لأن كونه عبدا قد مسه الرق ينافى كونه نبيا ، لأن الرسل كانت تبعث فى أحساب قومها ، ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا(٢٧) .

وتقل كون لقمان نبيا عن جابر عن عكرمة قال : كان لقمان نبيا . قال ابن كثير : جابر هذا هو ابن يزيد الجحفى وهو ضعيف . والله أعلم(٢٨) .

من حكم لقمان

وحكم لقمان مأثورة كثيرة ، منها قيل له : أى الناس شر ؟ قال : الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئا . وقال له داود عليه السلام : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت فى يد غيرى فتفكر داود فيه فصعق

---

(٢٧) تفسير الطبرى : ٢٠/٤٣ .
(٢٨) تفسير ابن كثير : ٣/٤٤٣ .

صعقة(٢٩) . ومن حكمته قوله لابنه : أى بنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى ، وحشوها : الايمان وشراعها التوكل على الله تعالى لعلك أن تنجو ولا أراك ناجيا ، وقوله : من كان له من نفسه واعظ كان له من الله عز وجل حافظ ، ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله تعالى بذلك عزا والذل فى طاعة الله تعالى أقرب من التعزز بالمعصية . وقوله : ضرب الوالد لولده كالسماء للزرع ، وقوله : يا بنى اياك والدين فانه ذل النهار هم الليل . وقوله : يا بنى ارج الله عز وجل رجاء لا يجريك على معصيته تعالى وخف الله سبحانه خوفا لا يؤتيك من رحمته تعالى شانه(٣٠) .

* * *

(٢٩) البحر المحيط : ١٨٦/٧ .
(٣٠) روح المعانى للآلوسى : ٨٣/٢١ .

الفصل الثانى

القصة فى القرآن الكريم

معنى القصة لغة واصطلاحا :

قص الأثر : تتبعه قال تعالى : « **وقالت لأخته قصيه** »(١) ، « **فارتدا على آثارهما قصصا** »(٢) ، أى رجعا من الطريق الذى سلكاه يقصان الأثر أى يتبعانه . والقاص : من يتبع القصة ويحكيها(٣) والقصة : هى الحالة والأمر الذى يقص وجمعها (قصص) بكسر القاف . والقصص بالفتح كالقص مصدر غير أنه يراد به الاسم ، والمعنى الحاصل بالمصدر . قال تعالى : « **لقد كان فى قصصهم عبرة** »(٤) ، « **نحن نقص عليك أحسن القصص** »(٥) ، « **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** »(٦) .

وقصص القرآن : اخباره عن أحوال الأمم الماضية والأنبياء السابقين والحوادث الكائنة والواقعة فيما مضى من الزمان . وعدد آيات القصص فى القرآن نحوا من ألف وخمسمائة آية تناهز ربع القرآن الذى تبلغ عدد آياته نحوا من ستة آلاف ومائتين وأربع آية(٧) .

أغراض ذكر القصة فى القرآن الكريم :

لقد ورد ذكر القصة فى القرآن لأغراض متعددة منها :

---

(١) سورة القصص آية : ١١ .
(٢) سورة الكهف آية : ٦٤ .
(٣) لسان العرب (قصص) .
(٤) سورة يوسف آية : ١١١ .
(٥) سورة يوسف آية ٣ .
(٦) سورة الأعراف آية : ١٧٦ .
(٧) انظر الاختلاف في عدد آيات القرآن فى الاتقان : ١/٨٩.

١ ـ لقد كانت القصة عند العرب لونامن الوان اللسن والأدب والسمر فجاء القرآن بها والنفس لما الفت اميل فكان ذلك مجالا لمباراتهم فيها ومبارزتهم وتعجيزهم .

٢ ـ وروو القصة فىالقرآن جعله أقساما من الكلام وفنونا ، وذلك للاقبال عليه وأنفى للملل والسآمة مما لوكان كله أمرا ونهيا وأحكاما .

٣ ـ حققت القصة فى القرآن الكريم أهدافا تتعلق بالكافرين المنذرين بالقرآن وأهدافا تتعلق بالمصدقين والمؤمنين به . وأهدافا تتعلق بالرسول الذى نزل عليه . أما الأولون فهى تهديد لهم وانذار وتخويف باطلاعهم على ما كان من عاقبة أشباههم المكذبين المعاندين للرسل السابقين من أخذهم بذنوبهم وسوء مآلهم . فمثلا فى الحديث عن الكافرين من قوم لوط عليه السلام يقول القرآن : « وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين »(٨) . وأما الآخرون المؤمنون فهى تثبيت لهم على ايمانهم وبشرى لهم بالنجاة كاخوانهم السابقين الذين كانوا فى نهاية صراعهم مع الكافرين منصورين مع ما فى اطلاعهم على أحوال الأمم من تبرير كونه شهداء على الناس « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس »(٩) .

أما الرسول الكريم فهى ايضا تثبيت لفؤاده على ما يلاقيه من الشدائد ، لأن الله ناصره كما نصر اخوانه السابقين ، ودليل قوى على صدقه فى رسالته حيث كان يقص هذا القصص بما فيه من حقائق تاريخية ووقائع ماضية لم يتعلمها ولم ينبأ بها الا من لدن حكيم عليم .

---

(٨) سورة الأعراف آية : ٨٤ .
(٩) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

الأمـر الذى كان مجالا لأن يتحداه المشـركون بمعـاونة اليهود أن يقص عليهم قصصـا مغنيا فيقص ، ولأن يستزيده المسلمون من ذكر القصص فيجيبهم .

فقد ورد فى سبيل نزول قصـة أهـل الكهف أن اليهود أشـاروا على أهـل مكة أن يسـألوه عن الروح وعن فتيـة مضوا فى الدهـر الأول ، وعن رجل طواف بلغ مشـارق الأرض ومغاربها(١٠) .

٤ ـ بينت القصـة فى القـرآن أن قضية الايمان والكفر والرسالات والهدى والضـلال واحدة على طول العصـور والدهـور . قال تعـالى : **«يا حسـرة على العبـاد ما يأتيهـم مـن رسـول الا كـانوا بـه يستهزئون »(١١) ، « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسـول الا قالوا ساحرا أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون »(١٢) ، « ولقد كذبت رسـل من قبلك فصـبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين»(١٣)**

٥ ـ القصـة وسيلة من وسـائل الزام الخصم بطريق نفسـانى تستيقظ نفسـه فى نهاية القصـة على صوت الحق مدويا فى قراراتها فتعود اليـه أو تصـير مفحمـة منقطعة .

قال الامام الرازى فى تفسيره الكبير فى سـورة (ص) بعد فراغه من تفسـير قصـة داود عليه السـلام : « المسـالة الثانية : فى تقـرير نظم هـذه الآيات فنقول : انه للسـائل أن يسـأل فيقول : انه تعـالى حكى فى أول السـورة عن المستهزئين من الكفار أنهم بالغوا فى انكار البعث

---

(١٠) انظر جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى : ١٥/١٢٧، ١٢٨ .
(١١) سـورة يس آية : ٣٠ .
(١٢) سـورة الذاريات آية : ٥٢، ٥٣ .
(١٣) سـورة الأنعـام آية : ٣٤ .

والقيامة : « قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب »(١٤) ، ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك لم يذكر الجواب بل قال : « اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود »(١٥) ، ومعلوم أنه لا تعلق لذكر داود عليه السلام بأن القول بالقيامة حق ، ثم أنه تعالى أطنب فى شرح قصة داود ثم أتبعه بقوله : « وما خلقنا السماء والأرض »(١٦) ومعلوم أنه لا تعلق لمسألة اثبات حكمة الله بقصة داود ثم لما ذكر اثبات حكمة الله وفرع عليه اثبات أن القول بالحشر والنشر حق ذكر بعده أن القرآن كتاب شريف فاضل كثير النفع والخير ولا تعلق لهذا الفصل بالكلمات المتقدمة ، واذا كان كذلك كانت هذه الفصول فصولا متباينة لا تعلق للبعض منها بالبعض ، فكيف يليق بهذا الموضع وصف القرآن بكونه كتابا شريفا فاضلا ، هذا تمام السؤال .

والجواب أن نقول : ان العقلاء قالوا : من ابتلى بخصم جاهل مصر متعصب ورآه قد خاض فى ذلك التعصب والاسراف وجب عليه أن يقطع الكلام معه فى تلك المسألة ، لأنه كلما كان خوضه فى تقريره أكثر كانت نفرته عن القبول أشد ، فالطريق حينئذ أن يقطع الكلام معه فى تلك المسألة وأن يخوض فى كلام أجنبى عن المسألة الأولى بالكلية ويطنب فى ذلك الكلام الأجنبى بحيث ينسى ذلك المتعصب تلك المسألة ، فاذا اشتغل خاطره بهذا الكلام الأجنبى ونسى المسألة الأولى فحينئذ يدرج فى أثناء الكلام فى هذا الفصل الأجنبى مقدمة مناسبة لذلك المطلوب الأول ، فان ذلك المتعصب يسلم هذه المقدمة ، فاذا سلمها فحينئذ يتمسك بها فى اثبات المطلوب الأول ، وحينئذ يصير ذلك الخصم المصر المتعصب منقطعا مفحما ، اذا عرفت هذا فنقول : ان الكفار بلغوا فى انكار الحشر والقيامة الى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء : « ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب »(١٧) ، فقال يا محمد:

---

(١٤) سورة ص آية : ١٦ .
(١٥) سورة ص آية : ١٧ .
(١٦) سورة ص آية : ٢٧ .
(١٧) سورة ص آية : ١٦ .

اقطع الكلام معهم فى هـذه المسـألة واشـرع فى كلام أجنبى آخر بالكلية عن هـذه المسـألة وهو قصـة داود عليـه السـلام ، فان من المعلوم أن لا تعلق لهذه القصـة بمسـألة الحشـر ، ثم أنه تعـالى أطنب فى شـرح تلك القصـة ثم قال فى آخـرها : « **يا داود انا جعلنـاك خليفة فى الأرض فاحـكم بين النـاس بالحـق** »(١٨) ، وكل من سمـع هـذا قال : نعم ما فعل حيث أمـره بالحكم بالحق ، ثم كأنه تعـالى قال : وانا لا آمـرك بالحـق فقط بل أنا مع أنى رب العـالمين لا أفعـل الا بالحق ولا أقضى بالباطل ، فها هنا الخصم يقول : نعم ما فعـل حيث لم يقض الا بالحق فعند هـذا يقال : لمـا أسلمت أن حكم الله يجب أن يكون بالحق لا بالباطل لزمك أن تسـلم صحة القول بالحشـر والنشـر ، لأنه لو لم يحصـل ذلك لزم أن يكون الكافر راجحا على المسـلم فى ايصال الخيرات اليـه وذلك ضد الحكمة وعين الباطل ، فبهذا الطـريق اللطيف أورد الله تعالى الالزام القاطع على منكرى الحشـر والنشـر ايرادا لا يمكنهم الخـلاص منـه ، فصـار ذلك الخصم الذى بلغ انكار المعـاد الى حـد الاستهزاء مفحمـا ملزما بهـذا الطـريق .

ولمـا ذكـر الله تعـالى هذه الطريقة فى الالزام فى القرآن لا جرم وصف القـرآن بالكمال والفضـل فقال : « **كتاب أنزلنـاه اليك مبـارك ليدبروا آياته وليذكـر أولوا الألبـاب** »(١٩) .

فان من لم يتـدبر ولم يتأمل ولم يسـاعده التوفيق الالهى لم يقف على الأسـرار العجيبة المذكـورة فى هذا القـرآن العظيم حيث يراه فى ظاهر الحـال مقـرونا بسوء الترتيب وهو فى الحقيقة مشتمل على أكمل جهات الترتيب ، فهذا ما حضرنا فى تفسـير هـذه الآيات وبالله التوفيق أ.هـ(٢٠) .

٦ ـ القصص القـرآنى تربة خصبة فى مجالات التربية والتهذيب تساعد المـربين على النجاح فى مهمتهم ، وتمهدهم بزاد تهذيبى من سيرة

---

(١٨) سـورة ص آية : ٢٦ .
(١٩) سـورة ص آية : ٢٩ .
(٢٠) التفسـير الكبير للفخر الرازى : ٢٠٢/٢٦ .

النبيين وأخبار الماضيين وسنة الله فى حياة المجتمعات وأحوال الأمم .

التكرار فى القصص القرآنى

ليس التكرار فى القصص القرآنى من مكرر العقول ، لأن ذلك التكرار له أسرار كثيرة ، ومن هذه الأسرار :

١ - تعدد المعانى والعبر والعظات فى القصة الواحدة فى كل موضع ذكرت فيه القصة فى سور القرآن الكريم .

٢ - ان فى كل موضع زيادة شىء لم يذكر فى الذى قبله ، أو ابدال كلمة بأخرى لنكتة . وهذه هى عادة البلغاء ، فان القصة الواحدة لما كررت كان فى ألفاظها فى كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى فافاد ذلك ظهور الأمر العجيب فى اخراج المعنى الواحد فى صور متباينة فى النظم وجذب النفوس الى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل فى الأشياء المتجددة واستلذاذ ما بها واظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هجنة فى اللفظ ولا ملل عند سماعه مع تكرير ذلك فيه فباين كلام المخلوقين .

٣ - كررت القصة ، لأنها لو ذكرت مرة واحدة وقد وقع التحدى بها كسائر آيات القرآن لقال الكافرون ان القرآن لم يأت بمثلها فكيف نأتى بمثلها ؟ فأعاد القرآن صياغتها لدحض هذه الشبهة .

٤ - قد تتكرر القصة ليذكر فى الموضع الثانى طرف منها لم يذكر فى الموضع الأول فيصل بذلك استيفاؤه ، فمثلا أكبر قصة كررت فى القرآن قصة موسى عليه السلام ، لأنه كان يعالج قوما جبارين - وأنت تحس أن القرآن يكرر قصة موسى - ولكنه يكررها لأجل اللقطة التى يريدها ، فمثلا قوله تعالى :« **وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين** »(٢١) ، ثم

---

(٢١) سورة القصص آية : ٧ .

يقول مـرة أخـرى : « **اذا أوحينـا الى أمك ما يوحى أن اقذفيـه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فيلقـه اليم بالسـاحل يأخذه عدو لى وعـدو له** »(٢٢) ، فهـذا ليس تكرارا . هذه لقطات من حديث اذا اجتمعت مع بعضها فتكون القصـة كاملة .

٥ ـ كـررت القصـة فى القـرآن ، لأن المقصود بها افادة اهـلاك من كذبوا رسلهم . والحاجة داعيـة الى ذلك لتكـرار تكذيب الكفـار لرسول الله ﷺ ، فكلمـا كذبوا نزلت قصـة منذرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين السـابقين ، ولذلك لم يتكرر قصص فى القرآن مثـل قصـة يوسف وأصحـاب الكهف وذى القرنين ، ولقمـان ، وقصـة موسى مع العبد الصالح ، وقصـة الذبيح ، لأنه لم يقصد من كل هذه القصص نفس المعنى الذى جاء فى القصص الأخرى .

القصـة فى القـرآن حقيقـة

القصص فى القـرآن الكريم لا تذكـر ما يتناقض مع الواقع ولا تسرد ما لم يكن حادثا ولا تتحدث عن أشخـاص وأقـوام بأعيانهم لم يكونوا موجودين . قال تعـالى : « **نحن نقص عليك نباهم بالحـق** »(٢٣) ، وقال تعـالى : « **ان هـذا لهو القصص الحـق** »(٢٤) ، ففى كلمـة الحق ايحـاء بأنه قد يقص بغير حق لكن قصص القـرآن حق لا تزيد فيـه وأنه شىء واقـع . فالقصـة فى القـرآن لها هدف ، قال تعـالى : « **لقد كان فى قصصهم عبـرة لأولى الألبـاب ما كان حديثـا يفتـرى** »(٢٥) ، فلم توضـع لقتـل الوقت ، ولم توضـع للاتجار ، ولم توضع لزخـرف تريد أن تبينـه للناس ، ولا لاباحية تريد أن تخطط لهـا لتلقنها للاطفال فى حياتهم بل لتثبت به فؤاد الرسول ﷺ على منطق ينفـع حـركة الحياة لا منطق يضـر حـركة الحيـاة ، قال تعـالى : « **وكلا نقص عليك من أنبـاء الرسل ما نثبت به فـؤادك** »(٢٦) .

---

(٢٢) سـورة طـه آية : ٣٨ ، ٣٩ .
(٢٣) سـورة الكهف آية : ١٣ .
(٢٤) سـورة آل عمـران آية : ٦٢ .
(٢٥) سـورة يوسف آية : ١١١ .
(٢٦) سـورة هـود آية : ١٢٠ .

الفصل الثالث

خبر لقمان فى القرآن الكريم

قال تعالى : (**ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد**) .

الربط :

لما بين الله فساد اعتقاد المشركين بسبب عنادهم باشراك من لا يخلق شيئا بمن خلق كل شىء بقوله : « **هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه** »(٢٧) ، وبين أن المشرك ظالم ضال فى قوله : (**بل الظالمون فى ضلال مبين**) ذكر ما يدل على أن ضلالهم وظلمهم بمقتضى الحكمة وان لم يكن هناك نبوة فذكر خبر (لقمان) مبينا أنه أدرك ذلك بالحكمة ، فقال : « **ولقد آتينا لقمان الحكمة ..** »(٢٨) الخ . قوله (ولقد) ، قد : حرف تحقيق . (آتينا) أى أعطينا

قال الجوينى : ان الايتاء أقوى من الاعطاء فى اثبات مفعوله ، لأن الاعطاء له مطاوع . يقال : أعطانى فعطوت ، ولا يقال فى الايتاء : آتانى فأتيت ، وانما يقال : أتانى فأخذت . والفعل الذى له مطاوع أضعف فى اثبات مفعوله من الذى لا مطاوع له((٢٩) ، والايتاء يكون فى المعانى غالبا ، قال تعالى : « **ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم** »(٣٠) ، بخلاف الاعطاء ، فغالبا ما يكون فى المحسوسات ، قال تعالى : « **انا أعطيناك الكوثر** »(٣١) ، وأيضا الايتاء يستعمل فى غاية المراد بخلاف الاعطاء . (لقمان) : اسم أعجمى لا عربى مستق من اللقم(٣٢) .

---

(٢٧) سورة لقمان آية : ١١ .
(٢٨) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازى : ١٤٦/٢٥ .
(٢٩) البرهان للزركشى : ٨٥/٤ .
(٣٠) سورة الحجر آية : ٨٧ .
(٣١) سورة الكوثر آية : ١ .
(٣٢) روح المعانى للألوسى : ٨٢/٢١ .

ولم يتصرف (لقمان) ، لانه فى آخره الفا ونونا زائدتين فاشبه فعلان الذى أنثاه فعلى فلم ينصرف فى المعرفة ، لان ذلك ثقل ثان . وانصرف فى النكرة ، لان أحد الثقلين قد زال ، قاله النحاس(٣٣) . (الحكمة) مأخوذة من قولك : أحكم الأمر اذا أتقنه . والحكيم : المتقن للأمور وحكم الشىء وأحكمه كلاهما منعه من الفساد . وحكمة الدابة سميت بهذا المعنى ، لانها تمنع الدابة من كثير من الجهل(٣٤) ، هذا من حيث المعنى اللغوى .

أما الحكمة فى عرف العلماء : استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية ، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها(٣٥) . قوله : « أن أشكر الله » : (أن) مفسرة لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ، فالحكمة : هى الشكر لله ، والأمر فى قوله (اشكر) أمر تكوين ، أى جعلنا من الشاكرين . قوله : (ومن يشكر) استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالأمر ، أى ومن يشكر له تعالى (فانما يشكر لنفسه) أى من يشكر الله على نعمه عنده فانما يشكر لنفسه ، لأن الله يجزل له على شكره اياه الثواب وينقذه به من الهلكة .

والشكر فى اللغة : الظهور من قولهم : دابة شكور اذا ظهر عليها من السمن فوق ما تعطى من العلف . والشكر : عرفان الاحسان ونشره ، وهو لا يكون الا عن يد . والحمد يكون عن يد وغير يد . والشكر من الله : المجازاة والثناء الجميل(٣٦) ، وعبر بصيغة المستقبل فى

---

(٣٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١٤/٥٩ .
(٣٤) لسان العرب : (حكم) .
(٣٥) تفسير البيضاوى : ٢/١٢١ .
(٣٦) تفسير القرطبى : ١/٣٩٨ ، ولسان العرب (شكر) .

قوله : (ومن يشكر) ، لأن الشكر ينبغى أن يتكرر فى كل وقت لتكرر النعمة ، فمن شكر ينبغى أن يكرر ، ولأن الشكر من الشاكر لا يقع بكماله ، بل أبدا يكون منه شىء فى العدم يريد الشاكر ادخاله فى الوجود كما قال تعالى : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك »(٣٧) ، وكما قال تعالى : « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »(٣٨) ، فأشار اليه بصيغة المستقبل تنبيها على أن الشكر بكماله لم يوجد .

قوله : (ومن كفر) : أصل الكفر : تغطية الشىء تغطية تستهلكه . والكافر ذو كفر أى ذو تغطية لقلبه بكفره(٣٩) . وفى اختيار صيغة الماضى (كفر) اشارة الى قبح الكفران . وجواب الشرط محذوف قام مقامه ، قوله تعالى : (فان الله غنى حميد) . وكان الأصل ومن كفر فانما يكفر على نفسه ، لأن الله غنى حميد . والمعنى : ومن كفر فضرر كفره عائد عليه ، لأن الله تعالى غنى لا يحتاج الى الشكر فالله سبحانه وتعالى لا يحتاج الى أحد فى شىء وكل واحد محتاج اليه . ومن أسمائه تعالى (المغنى) ، فهو الذى يغنى من يشاء من عباده . وهو (حميد) مستحق الحمد لذاته وصفاته وان لم يوجد حامد ، لأن صفات الحق سبحانه صفات أزلية له ثابتة ببقائه ، فالله غنى بذاته محمود بذاته لا بحمد الناس وشكرهم على عطاياه .

قال تعالى : « وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فان الله لغنى حميد »(٤٠) .

---

(٣٧) سورة النحل آية : ١٩ .
(٣٨) سورة ابراهيم آية :٣٤ ، والنحل آية : ١٨ .
(٣٩) لسان العرب : (كفر) .
(٤٠) سورة ابراهيم آية : ٨ .

وعدم التعرض لكونه سبحانه وتعالى مشكورا لما أن الحمد متضمن للشكر ، فاثباته له تعالى اثبات للشكر قطعا(٤١) ، وقال تعالى فى سورة (الروم ،) : « **ومن كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون** »(٤٢) بتقديم الكفر على العمل الصالح . أما فى سورة (لقمان) قدم الشكر على الكفر فقال (**ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر**) .

يقول الفخر الرازى : فى سورة (الروم ،) كان الذكر للترهيب لقوله تعالى من قبل ذلك : « **فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يو م لا مرد له من الله يومئذ يصدعون** »(٤٣) ، أما فى سورة : (لقمان) فالذكر للترغيب ، لأن وعظ الأب للابن يكون بطريق اللطف والوعد ، وقا لفى سورة (الروم) (ومن عمل ،) بالماضى ، لأنها كانت بعد اليوم الذى لا مرد له وبذلك تكون الأعمال قد سبقت ، فقال بلفظ الماضى : (ومن عمل) ، أما فى سورة (لقمان) لما كان المذكور ابتداء فقال (ومن يشكر ،) بلفظ المستقبل(٤٤) ، حيث أن الفرصة أمامه ما زالت باقية .

ومجمل القول فى الخبر عن (لقمان) أنه رجل آتاه الله الحكمة مضمونها ومقتضاها الشكر لله . وهذا توجيه قرآنى الى شكر الله اقتداء بذلك الرجل الحكيم الذى يعرض القرآن قصته .

شكر النعمة

ما أغزر النعم التى تنهمر على الناس ليلهم ونهارهم من المهد

---

(٤١) روح المعانى للألوسى : ٨٤/٢١ .
(٤٢) سورة الروم آية : ٤٤ .
(٤٣) سورة الروم آية : ٤٣ .
(٤٤) التفسير الكبير للفخر الرازى : ١٤٧/٢٥ .

الى اللحد وهى نعم لو قدروها قدرها أو أحسنوا استغلالها لملأت قلوبهم بالحمد وأطلقت ألسنتهم بالثناء ، ولو تدبر الانسان خلقه وهيئته وما زوده الله به من الحواس والجوارح . وما وهبه من الطاقات والمدارك لوجد الله واهتدى بهذه الخوارق الدالة على أنه الخالق الواحد . فما من أحد غير الله بقادر على ابداع هذه الخلقة المعجزة فى الصغير منها وفى الكبير . هذا السمع وحده وكيف يعمل ؟ وكيف يلتقط الأصوات ؟ وهذا البصر وحده وكيف يبصر ؟ وكيف يلتقط الأضواء والأشكال ؟ وهذا الفؤاد ما هو ؟ وكف يدرك وكيف يقدر الأشياء والأشكال والمعانى والقيم والمشاعر والمدركات ؟

ان مجرد معرفة طبيعة هذه الحواس والقوى وطريقة عملها يعد كشفا معجزا فى عالم البشر ، فكيف بخلقها وتركيبها على هذا النحو المتناسق مع طبيعة الكون الذى يعيش فيه الانسان ؟ ذلك التناسق الملحوظ الذى لو اختلت نسبة واحدة من نسبه فى طبيعة الكون أو طبيعة الانسان لفقد الاتصال فما استطاعت أذن أن تلتقط صوتا ، ولا استطاعت عين أن تلتقط ضوءا . ولكن القدرة المدبرة نسقت بين طبيعة الانسان وطبيعة الكون الذى يعيش فيه فتم هذا الاتصال .

كل هذا جزء من كثير لنعم الله سبحانه وتعالى . ولو أجهدنا أنفسنا فى احصاء هذه النعم لما استطعنا ، وصدق الله اذ يقول : « **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** »(٤٥) .

ان شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس فى النفس البشرية فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعى فى الفكرة المستقيمة . والنفس التى تشكر الله على نعمته تراقبه فى التصرف بهذه النعمة

---

(٤٥) سورة ابراهيم آية : ٣٤ ، النحل آية : ١٨ .

بلا بطـر وبلا استعـلاء على الخلق وبلا استخدام للنعمة فى الأذى والشر والفســاد والدنس . وهـذه وتلك مما يزكى النفس ويدفعهـا للعمـل الصـالح وللتصرف الصـالح فى النعمـة بما ينميهـا ويبـارك له فيهـا ويرضى النـاس عنهـا وعن صاحبها فيكونون له عـونا ، ويصلح روابط المجتمـع فتنمو فيـه الثروات فى أمان الى آخر الأسباب الطيبة الظاهرة لنـا فى الحيـاة ، وان كان وعد الله بذاته يكفى لاطمئنان المؤمن أدرك الأسباب أو لم يدركها فهو حـق واقـع ، لأنه وعـد الله ، قال تعـالى : « **واذ تأذن ربكم لئن شـكرتم لأزيدنكم** »(٤٦) . وقد أمـر الله أن يشكروه « **واشـكروا لى ولا تكفـرون** »(٤٧) لأن قـلة الشـكر خسـة يجب التنزه عنهـا ...

انك لو أطعمت امـرأ شهرا أو شهـرين أو قضيت عنـه دينا أو دينين او رفعتـه درجة أو درجتين ثم تجهم لك بعـد هـذه الأيادى وأعـرض عنك لرأيت أن فـراغ الحيـاة من مثـله واجب . وأن بقـاءه على ظهر الأرض قذى يتحـرك . فما ظنك بمن خلق من عـدم ، وأطعم وسـتر وأغدق وأمد الأعـوام بعد الأعوام عندما يرى عبده قد حاز كل هذه النعم ثم عادى مسديها وواهبها « **خلق الانسـان من نطفـة فاذا هو خصـيم مبـين** »(٤٨) ، « **قـل من ينجيـكم من ظلمـات البر والبحـر تدعونه تضـرعا وخفيـة لئن أنجـانا من هـذه لنكونن من الشـاكرين قـل الله ينجيكم منهـا ومن كل كـرب ثم أنتم تشـركون** »(٤٩) .

وعن أبى هـريرة رضى الله عنـه عن النبى ﷺ قال : « لا يشكر الله من لا يشـكر النـاس »(٥٠) أى من كان من طبعـه كفران نعمـة الناس

---

(٤٦) سـورة ابراهيم آية : ٧ .
(٤٧) سـورة البقـرة آية : ١٥٢ .
(٤٨) سـورة يس آية : ٧٧ .
(٤٩) سـورة الأنعـام آيتى : ٦٣ ، ٦٤ .
(٥٠) سنن أبى داود : ٤/٢٥٥ ـ كتاب الأدب ـ باب فى شكر المعروف .

وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعم الله عز وجل وترك الشكر له .

ان الأمر بالشكر ليس تكليف مشقة يصبر الناس عى أدائه ، بل هو طريق كمال ينبغى أن يسير الناس فيه بهمة وقدرة . قال تعالى : « **فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون** »(٥١) ، والقرآن الكريم فى شتى سوره أحصى أصول النعم وذكر أمثلة شتى لما غمر الناس منها وارتقب من أصحاب الضمائر الحية أن يشكروا صاحبها وأن يعرفوا حقه فيها بعد ما بسطها بأروع أسلوب .

وفى هذا القرآن سورة باسم (الرحمن) عددت جملة من نعم الدنيا والآخرة وفى ثنايا هذا العد الموقظ المذكر توجه للانس والجن هذا السؤال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ، يوجه اليهم عشرات المرات يحمل التقريع بقدر ما يحمل التعليم والتذكير . ان شكر الله على أنعمه حق ، ولكن ما أكثر النعم وأقل الشاكرين .

عقبى الكنود :

الكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها أو بانكار أن الله واهبها ونسبتها الى العلم والكد الشخصى والسعى كال قال قارون : « **قال انما أوتيته على علم عندى** »(٥٢) .

كان هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله . وقد يكون كفر النعمة بسبب سوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد وكله كفر بنعمة الله . وهذا الكفر يؤدى الى العذاب الشديد

---

(٥١) النحل آية : ١١٤ .
(٥٢) القصص آية : ٧٨ .

قال تعالى : « **ولئن كفرتم ان عذابى لشديد** »(٥٣) . وشدة العذاب كفاءة لخبائة الجحود . والعذاب الشديد قد يتضمن محق النعمة عينا بذهابها أو سحق آثارها فى الشعور .. فكم من نعمة تكون بذاتها نقمة يشقى بها صاحبها ويحسد الخالدين . وقد يكون عذابا مؤجلا الى أجله فى الدنيا أو فى الآخرة كما يشاء الله ولكنه واقع ، لأن الكفر بنعمة الله لا يمضى بلا جزاء .

ان الله تعالى قص علينا قصة سبأ لنعرف منها عقبى الكنود وكيف أنها كانت زاهرة ثم صارت خرابا أتى على ما سبق من سعة ورفاهية ـ قال تعالى : « **لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور** »(٥٤) .

* * *

(٥٣) ابراهيم آية : ٧ .
(٥٤) سبأ آية : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

الفصل الرابع

وصايا لقمان

١ ـ التوحيد

قال تعالى : « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » .

الربط :

هذا عطف على معنى ما سبق وتقديره : آتينا لقمان الحكمة حين جعلنا شاكرا فى نفسه وحين جعلناه واعظا لغيره وهذا لأن علو مرتبة الانسان بأن يكون كاملا فى نفسه ومكملا لغيره فقوله (أن اشكر) اشارة الى الكمال ، وقوله (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه) اشارة الى التكميل(١) .

واختلف فى اسم ابنه فقيل : ثاران . وقيل : مشكم ، وقيل : انعم ، وذكر أن ابنه وامرأته كانا كافرين فمازال يعظهما حتى اسلما . وؤيد القرطبى هذا الرأى ويدلل عليه بقوله : (لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)(٢) ـ وقيل : كان ابن لقمان مسلما والنهى عن الشرك تحذير له عن صدوره منه فى المستقبل ، وقوله (وهو يعظه) جملة حالية ـ والوعظ : زجر مقترن بتخويف(٣) وفى قوله (يابنى لا تشرك) ثلاث قراءات الأولى : فتح الياء مشددة لحفص ، والثانية : اسكان الياء مخففة لابن كثير . والثالثة : كسرها مشددة للباقين(٤) . وقوله (يابنى) ليس هو على حقيقة

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ١٤٧/٢٥ .
(٢) تفسير القرطبى ٣٩/٩ .
(٣) المفردات للراغب (كتاب الواو) .
(٤) البذور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ص٢٥١ .

التصغير ـ وان كان على لفظه ـ فهو تصغير اشفاق ومحبة لا تصغير تحقير . قوله (لا تشرك بالله) يقال أشرك بالله أى جعل له شريكا فى ملكه ـ تعالى الله عن ذلك ـ وانما دخلت التاء فى قوله (لا تشرك بالله) ، لأن معناه : لا تعدل به غيره فتجعله شريكا له ومن عدل به شيئا من خلقه فهو كافر مشرك لأن الله وحده لاشريك له ولأنه لا ند له ولا نديد(٥) قوله (ان الشرك لظلم عظيم) اختلاف فى ذلك فقيل : انه كان من كلام لقمان . وقيل : هو خبر من الله تعالى منقطعا عن كلام لقمان متصلا به فى تأكيد المعنى ـ عن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال : لما نزلت « **الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم** »(٦) ، قال أصحابه : وأينا لم يظلم فنزلت « **إن الشرك لظلم عظيم** »(٧) قال الحافظ فى الفتح ٩٥/١ : اقتضت هذه الرواية أن هذا السؤال سبب نزول الآية الأخرى التى فى لقمان لكن رواه البخارى ومسلم من طريق آخر عن الأعمش ففى رواية جرير عنه ـ فقالوا : أينا لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال : (ليس كذلك ألا تسمعون الى قول لقمان) ؟ وفى رواية وكيع عنه فقال : (ليس كما تظنون) وفى رواية عيسى بن يونس (انما هو الشرك ألم تسمعوا الى ماقال لقمان) أ.هـ .

ووجه كون الشرك ظلما عظيما انه وضع فيه أخس الأشياء وهو الفقير المطلق موضع أشرف الأشياء وهو الغنى المطلق .. ان الشرك انقطاع ما بين الله والعباد فلا يبقى لهم معه أمل فى مغفرة اذا خرجوا من هذه الدنيا وهم مشركون مقطوعوا الصلة بالله رب العالمين .

---

(٥) لسان العرب (شرك) .
(٦) الأنعام آية : ٨٢ .
(٧) صحيح البخارى ٧٠/٦ ـ كتاب التفسير ـ باب (ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) ، ط. الشعب .

قال تعالى : « **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** »(٨) ، « **انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** »(٩) . وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله »(١٠) . وعن عبد الله قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لا يحل دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله الا باحدى ثلاثة نفر : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة »(١١)

نشأة الشرك :

ان الشرك أمر طارىء ليس أصيلا فى الكون .. نشأ متمثلا فى عبادة الأصنام فى عهد نوح - عليه السلام - بدأ أولا بتعظيم أشخاص (ودا ، وسواعا ، ويغوث ، ويعوق ، ونسرا) ، قال تعالى : « **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا** »(١٢) ، عظم الناس هؤلاء الأشخاص فى حياتهم فلما رحلوا عن الحياة صنعوا لهم تماثيل فزين الشيطان للناس أن هذه هى الآلهة ثم اتسع الشرك بعد ذلك وأخذ الوانا كثيرة فمن الناس من يشركون الجن ، ومنهم من يشركون الملائكة ، ومنهم من يشركون الأجداد والآباء ، ومنهم من يشركون الملوك والسلاطين ، ومنهم من يشركون

---

(٨) سورة النساء آية : ٤٨ .
(٩) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(١٠) سنن الترمذى : ١١٧/٢ - أبواب الايمان - باب : ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله .
(١١) سنن الدارمى : ٢١٨/٢ - باب : لا يحل دم رجل يشهد أن لا اله الا الله .
(١٢) سورة نوح آية : ٢٢ .

الكهان والأحبار ، ومنهم من يشركون الأشجار والأحجار ، ومنهم من يشركون الكواكب والنجوم ، ومنهم من يشركون النار ، ومنهم من يشركون الليل والنهار ، ومنهم من يشركون القيم الزائفة ، والرغائب والأطماع . ولا تنتهي أنماط الشرك وأشكاله ، فالشرك أخفى من دبيب النمل ، عن أبي علي - رجل من بني كاهل - قال : خطبنا أبو موسى الأشعري فقال : يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل فقام اليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا : والله لتخرجن مما قلت أو لتأتين عمر مأذونا لنا أو غير مأذون . فقال : بل أخرج مما قلت . خطبنا رسول الله - ﷺ ذات يوم فقال : يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل . فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : قولوا : اللهم انا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما تعلمه (١٣) .

تقرير عقيدة التوحيد في القرآن :

لقد جاء القرآن بالتوحيد وسلك الى تقرير هذه العقيدة وايصالها طرقا شتى وأساليب متنوعة ليتذكر المشركون . فالتوحيد لا يحتاج الى أكثر من التذكر والرجوع الى الفطرة ومنطقها والى الآيات الكونية ودلالتها ، ولكنهم يزيدون نفورا كلما سمعوا هذا القرآن ، نفورا من العقيدة التى جاء بها ، ونفورا من القرآن ذاته خيفة أن يغلبهم على عقائدهم الباطلة التى يستمسكون بها .. عقائد الشرك والوهم والترهات . والقرآن يجارى هؤلاء المشركين فى حكاية الآلهة المدعاة ليقرر أن هذه الآلهة لو وجدت فانها ستحاول أن تتقرب

---

(١٣) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند : ٣٠٤/٤ ، ط بيروت .

الى الله ، وان تجد لها وسيلة اليه وسبيلا ، قال تعالى : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا »(١٤)

و (لو) ـ كما يقول النحاة ـ حرف امتناع لامتناع ، فالقضية كلها ممتنعة ، وليس هناك آلهة م ع الله ـ كما يقولون ـ والآلهة التى يدعونها ان هى الا خلق من مخلوقات الله سواء كانت نجما أو كانت كوكبا ، انسانا أو حيوانا ، نباتا أو جمادا ، وهذه كلها تتجه الى الخالق حسب ناموس الفطرة الكونية ، وتخضع للارادة التى تحكمها وتصرفها وتجد طريقها الى الله عن طريق خضوعها لناموسه وتلبية لارادته .

ان الكون قائم على الناموس الواحد الذى يربط بين أجزائه جميعا ، ويتسق بين أجزائه جميعا وبين حركة هذه الأجزاء وحركة المجموع المنظم .. هذا الناموس الواحد من صنع ارادة واحدة لاله واحد فلو تعددت الذوات لتعددت الارادات ، ولتعددت النواميس تبعا لها فالارادة مظهر الذات المريدة . و الناموس مظهر الارادة النافذة ـ ولا انعدمت الوحدة التى تنسق الجهاز الكونى كله ، وتوحد منهجه واتجاهه وسلوكه ، ولوقع الاضطراب والفساد تبعا لفقدان التناسق « لو كان فيهما آلهة لفسدتا »(١٥) ، هذا التناسق الملحوظ الذى لا ينكره أشد الملحدين ، لأنه واقع محسوس .

التوحيد أصل الفطرة :

التوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله تعالى الرسل للناس لا تبديل فيها ولا تحويل . توحيد الاله المعبود ، قال تعالى : « فاقم

---

(١٤) سورة الاسراء آية : ٤٣ .
(١٥) سورة الأنبياء آية : ٢٢ .

وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(١٦) ، وقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »(١٧) ، وقال تعالى : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »(١٨) ، والمشركون يوم القيامة حين يسألون (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) ، تتعرى فطرتهم من الركام الذى ران عليها فى الدنيا . ويقرون بربوبية الله وحده وينسون أنهم أشركوا بالله فى الدنيا وينفون شركهم بالله فى الدنيا ، قال تعالى : « ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون . ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين »(١٩) .

والتوحيد ليست كلمة تقال ، فعقيدة التوحيد تقتضى العمل باخلاص لله ، قال تعالى : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »(٢٠) .

الوصية بالوالدين

قال تعالى :

« ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير . وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا

---

(١٦) سورة الروم آية : ٣٠ .
(١٧) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(١٨) سورة النحل آية : ٣٦ .
(١٩) سورة الأنعام آية : ٢٢، ٢٣ .
(٢٠) سورة الأنعام آية : ١٦٥ .

معروف واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون » .

الربط :

هذا كلام مستأنف أعترض به على نهج الاستطراد فى أثناء وصية لقمان لغرضين :

أحدهما : أن طاعة الأبوين تالية لعبادة الله .

الثانى : تأكيد كون الشرك أمرا فظيعا منكرا حتى انه يلزم فيه مخالفة من يجب طاعته .

قوله : (**ووصينا الانسان بوالديه**) تذكر معاجم اللغة أن أوصاه ووصاه بمعنى وهو : عهد اليه . والحقيقة أن الانسان لا يكاد يحس بفرق بينهما الا أن أحدهما معدى بالهمزة والباء ، والثانى بالتضعيف والباء . ولم يقتصر على الهمزة وحدها أو التضعيف وحده ، مع أنه بأى منهما يتعدى الفعل الى مفعولين ، لأن المفعولين هنا ليس أحدهما فاعلا فى المعنى ، ولهذا تعدى الفعل الى الثانى منهما بحرف الجر (٢١)

وتوصية الولد بالوالدين تتكرر فى القرآن الكريم وفى وصايا رسول الله ـ ﷺ ـ ، ففى القرآن الكريم نجد قوله تعالى : « **وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما**

---

(٢١) انظر التبصرة للصميرى : ١٠/١ ، تحقيق الدكتور فتحى على الدين ، ط مركز البحث العلمى بمكة المكرمة .

ربيانى صغيرا »(٢٢) ، « ووصينا الانسان بوالديه احسانا »(٢٣) ، « ووصينا الانسان بوالديه حسنا »(٢٤) .

وعن ابن مسعود قال : سألت رسول الله - ﷺ - فقلت : يا رسول الله : أى الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة لميقاتها . قلت : ثم ماذا يا رسول الله ؟ قال : بر الوالدين . قال : قلت : ثم ماذا يا رسول الله ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . ثم سكت عنى رسول الله - ﷺ - ولو استزدته لزادنى . قا ل الترمذى : هذا حديث حسن صحيح(٢٥) ، وعن عبد الرحمن بى أبى بكرة عن أبيه قال : قال رسول الله - ﷺ - : ألا أحدثكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين . قال : وجلس وكان متكئا . قال : وشهادة الزور أو قول الزور فما زال رسول الله - ﷺ - يقولها حتى قلنا ليته سكت(٢٦).

وهكذا نجد أن الوصية بالوالدين تكررت فى القرآن وفى وصايا رسول الله - ﷺ - .

ولم ترد وصية الوالدين بالولد الا قليلا ، ومعظمها فى حالة الوأد. وهى حالة خاصة فى ظروف خاصة ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه . فالفطرة مدفوعة الى رعاية الجيل الناشىء لضمان امتداد الحياة كما يريدها الله ، وان الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال فى غير تأفف ولا شكوى بل فى غير انتباه ولا شعور بما يبذلان ! بل فى

---

(٢٢) سورة الاسراء آية :
(٢٣) سورة الأحقاف آية : ١٥ .
(٢٤) سورة العنكبوت آية : ٨ .
(٢٥) سنن الترمذى : ٢٠٦/٢ - باب - ٢ ، ح رقم ١٩٦٠ . ط المدنى .
(٢٦) سنن الترمذى : ٢٠٨/٢ ، ح رقم ١٩٦٤ .

نشـاط وفـر ح وسـرور كانهما هما اللذان يأخذان ، فالفطرة وحـدها كفيـلة بتوصية الوالدين دون وصـاة ٠

فأما الوليد فى حاجة الى الوصـية المكـررة ليلتفت الى الجيـل المضحى المدبر المولى الذاهـ بـفى ادبار الحيـاة بعدما سكب عصارة عمره وروحـه وأعصـابه للجيل المتجه الى مستقبل الحيـاة ٠ ولمـا كانت الأم بطبيعـة الحال تحتمل النصيب الأوفـر من الجهد والمشقة وتجود به فى انعطـاف أشـد وأعمـق وأحنى وأرفـق خص الأم بالذكـر بعد الوصية بالوالدين ، فقال : (**حملتـه أمـه وهنـا على وهـن**) أى ضعف على ضعف وقوله (وهنـا) حال من (أمه) بتقـدير مضـاف أى ذات وهن ٠

والمـراد تضعف ضعفا متزايدا بازدياد ثقـل الحمـل الى مدة الطلق (وفصـاله) أى فطـام الولد وترك ارضـاعه (فى عـامين) أى فى انقضـاء عـامين ٠

ويقول الله سبحانه فى آية أخـرى : « **حملتـه أمـه كـرها ووضعته كـرها وحمـله وفصـاله ثلاثون شهـرا** »(٢٧) ، فالآية تصـور جسامة العناء والجهد الذى تكابده الأم فى الحمل والوضع ٠ ٠

وتقدم علـم الأجنـة فـاذا به يكشف لنـا فى عمليـة الحمـل عن جسـامة التضحية ونبلهـا فى صـورة حسية مؤثرة ٠٠ ان البويضة بمجرد تلقيحها بالخليـة المنوية تسعى للالتصـاق بجوار الرحم ٠٠ وهى مزودة بخاصية أكالة ٠ تمـزق جدار الرحم الذى تلتصق به وتأكله ، فيتوارد دم الأم الى موضعها ، حيث تسبح هذه البويضـة الملقحة دائمـا فى بركة من دم الأم الغنى بكل ما فى جسمها من خلاصات لمـادة الحيـاة ٠ والأم المسكينـة تأكل وتشـرب وتهضم وتمتص ، لتصب هـذا كله دمـا نقيـا

---

(٢٧) سـورة الأحقـاف آية : ١٥ ٠

غنيا لهذه البويضة الشرهة النهمة الأكول ! وفى فترة تكوين عظام الجنين يشتد امتصاصه للجير من دم الأم فتفتقر الى الجير . ذلك انها تعطى محلول عظامها فى الدم ليقوم به هيكل هذا الصغير ! وهذا كله قليل من كثير . ثم الوضع وهو عملية شاقة ممزقة ، ولكن آلامها الهائلة كلها لا تقف فى وجه الفطرة ولا تنسى الأم حلاوة الثمرة . ثم الرضاع والرعاية حيث تعطى الأم عصارة لحمها وعظمها فى اللبن ، وعصارة قلبها وأعصابها فى الرعاية (٢٨) .

من أجل هذا كانت وصية رسول الله ﷺ بالأم ثلاث مرات . عن ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال : أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك ادناك(٢٩) . وبعد أن بين القرآن مدى ما تعانيه الأم أخذ فى التوجيه الى شكر الله المنعم الأول وشكر الوالدين المنعمين التاليين (**أن اشكر لى ولوالدى**) ، فـ (أن) تفسيرية لـ (وصينا) ، ويكون قوله تعالى (حملته أمه ـ الى عامين) اعتراضا مؤكدا للتوصية فى حق الأم خصوصا لذكر ما قاسته(٣٠) ثم يعلل القرآن الأمر بالشكر بقوله : (الى المصير) أى الى الرجوع حيث ينفع رصيد الشكر المذخور . ولكن رابطة الوالدين بالوليد ـ على كل هذا الانعطاف وكل هذه الكرامة ـ انما تأتى فى ترتيبها بعد وشيجة العقيدة ـ فان جاهداك الوالدان على أن تكفر بالله كفرا ليس لك بصحبته أو بحقيقته علم فلا تطعهما ، قال تعالى : « **وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما**) فى ذلك . والمراد استمرار نفى العلم لا نفى

---

(٢٨) ظلال القرآن : ٢٧٨٨/٥ ، ٣٢٦٢/٦ .
(٢٩) صحيح مسلم بشرح النووى : ١٠٢/١٦ ـ كتاب البر والصلة والآداب .
(٣) روح المعانى للآلوسى ٧٦/٢١ .

استمراره فلا يكون الاشـراك الا تقليدا . ولكن الاختـلاف فى العقيدة ، والأمـر بعدم الطاعة فى خلافها لا يسقط حق الوالدين فى المعـاملة الطيبة والصحبة الكريمة (**وصاحبهما فى الدنيا معروفا**) أى صحابا معـروفا يرتضيه الشـرع ويقتضيه الكرم والمـروءة كاطعامهما أو اكسائهما وعـدم جفائهما وانتهارهما وعيادتهما اذا مرضـا ، ومواراتهما اذا ماتا .

وذكـر (فى الدنيـا) لتهوين أمـر الصحبة والاشـارة الى أنهـا فى أيام قـلائل وشيكة الانقضـاء فلا يضـر تحمـل مشقتها لقلة أيامها وسـرعة انصرامها ، فهى رحـلة قصـيرة فى الأرض لا تؤثر فى الحقيقة الأصلية ، قوله تعـالى : (**واتبـع سبيـل من أناب الى**) أى اتبـع سبيل المخلصين الى بالتوحيد والاخـلاص فى الطـاعة (**ثـم إلى مرجعـكم**) بعد رحـلة الأرض المحدودة (**فأنبئكم بما كنتم تعمـلون**) ولكل جـزاء ما عمـل من خير أو شر .

وهـذا نظـير الآية التى فى سـورة (العنكبوت) : « **ووصينـا الانسـان بوالديه حسنا وان جاهـداك لتشـرك بى ما ليس لك به عـلم فلا تطعهمـا الى مرجعـكم فأنبئكم بما كنتم تعمـلون** »(٣١) . قـال النيسـابورى . لم يذكـر فى سـورة (لقمـان) « حسنا » ، لأن قوله (**أن اشكر**) قـام مقـامه . وانما قال فى سـورة (لقمـان) « **وان جاهداك على أن تشـرك** » ، لأنه أراد وان حمـلاك على الاشـراك . وقال فى (العنكبوت) « لتشـرك » موافقـة لمـا قبله « **فانما يجـاهد لنفسـه** »(٣٢) ، وهـذه الآية وآية (العنكبوت) وآية (الأحقـاف) نزلت فى سعد بن أبى وقاص وأمـه .

---

(٣٠) روح المعـانى للألوسى : ٨٦/٢١ .
(٣١) سـورة العنكبوت آية : ٧ .
(٣٢) غرائب القـرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى على هامش الطبرى ٥٤/٢٠ .

عن سماك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد قال : أنزلت فى أربع آيات فذكر قصته . وقالت أم سعد : أليس قد أمر الله بالبر ؟ والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر . قال : فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها فنزلت هذه الآية . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح (٣٣) .

والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال ان كانا فقيرين والانة القول والدعاء الى الاسلام برفق ـ عن أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهما ـ قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش إذ عاهدهم فاستفتيت رسول الله ـ ﷺ فقلت يارسول الله : قدمت على أمى وهى راغبة أفأصل أمى ؟ قال : نعم صلى أمك (٣٤) .

٢ ـ لا تحقر من الأعمال شيئا فان الله لا تخفى عليه خافية

قال تعالى : « **يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير** » .

الربط :

لما نهى لقمان ابنه عن الشرك نبهه على قدرة الله وأنه لا يمكن أن يتأخر عن مقدوره شىء فقال : (يا بنى) .. الخ . والمعنى : يا ولدى ان الخطيئة والمعصية مهما كانت صغيرة حتى ولو كانت وزن حبة الخردل فى الصغر فتكن تلك السيئة أو الحسنة مع كونها فى أقصى غايات

---

(٣٣) سنن الترمذى : ٢٢/٥ ، ح رقم ٣٢٤٢ ـ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
صحيح البخارى ٥/٨ كتاب البر ـ باب صلة المرأة أمها ولها زوج ، ط. الشعب .

(٣٤) صحيح مسلم بشرح النووى : ٨٩/٧ ـ باب : وصول ثواب الصدقة عن الميت اليه .

الصغر - في أخفى مكان وأحرزه ، كجوف الصخرة الصماء ، أو في أعلى مكان في السماء أو في الأرض يحضرها الله سبحانه وتعالى ويحاسب عليها .

في قوله : (يا بنى) قراءتان : **الأولى** : فتح الياء مشددة لحفص . **والثانية** كسرها مشددة للباقين(٣٥) . والمثقال : ما يقدر به غيره لتساوى ثقلها . وقرأ المدنيان نافع وأبو جعفر (مثقال) برفع اللام(٣٦) على أن الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة(٣٧) .

والفاء في قوله (**فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض**) لافادة الاجتماع ، يعنى ان كانت صغيرة ومع صغرها تكن خفية في موضع حريز . والغرض من قوله (**في صخرة أو في السموات أو في الأرض**) التمثيل بأن الله لا تخفى عليه خافية من أعمال العباد - أما الأخبار الواردة بأن الصخرة المذكورة في الآية هي التي عليها الأرض هذه الأخبار موضوعة(٣٨) ولفظ (السماء) ورد في القرآن تارة مجموعا ، وأخرى مفردا في لفظ (الأرض) في القرآن فانها لم تات الا مفردة ، لأن جمع السموات المقصود بها ذاتها دون معنى الوصف ، فلهذا جمعت جمع سلامة بخلاف الأرض ، فان المقصود بها معنى التحت والسفل دون الذات والعدد . وحيث أريد بها الذات والعدد أتى بلفظ يدل على التعدد كقوله « **ومن الأرض مثلهن** »(٣٩) .

---

(٣٥) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة : ص ٢٥١ .
(٣٦) المصدر السابق .
(٣٧) البيضاوى : ١٢١/٢ .
(٣٨) انظر روح المعانى للآلوسى : ٨٩/٢١ .
(٣٩) سورة الطلاق آية : ١٢ .

وقوله : (**يأت بها الله**) أبلغ من قول القائل يعلمه الله ففيه مع العلم بمكانة اظهظار القدرة على الاتيان به (**أن الله لطيف**) نافذ القدرة (خبير) ببواطن الأمور ، والجملة علة مصححة للاتيان بالحسنة أو السيئة . والآية تعبر عن دقة علم الله وشموله ، قال تعالى : « **ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء** »(٤٠) ، وكذلك تعبر الآية عن قدرة الله سبحانه ودقة الحساب وعدالة الميزان يوم القيامة حين توضع الموازين القسط ويجازى عليها ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، قال تعالى : « **ونضع الموازين القسط يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** »(٤١) . انظر هذه الحبة من الخردل التى تصور أصغر ما تراه العيون وأخفه فى الميزان لا تترك يوم الحساب ولا تضيع والميزان الدقيق يشيل بها أو يميل ، قال تعالى : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** »(٤٢) .

فالله العدل يحاسب الناس على أعمالهم ويعطى كل انسان جزاء عمله ، لأن العدالة تقتضى ذلك ، فليس من المعقول أن يكون هناك مساواة بين من يفعل الخير ومن يفعل الشر . قال تعالى : «**افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون** »(٤٣) ، « **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** »(٤٤) ، « **أفمن كان مؤمنا كمن فاسقا لا يستوون** »(٤٥) .

---

(٤٠) سورة آل عمران آية : ٣٠ .
(٤١) سورة الزلزلة آية : ٧ ، ٨ .
(٤٢) سورة القلم آية : ٣٥ ، ٣٦ .
(٤٣) سورة الزلزلة آة :
(٤٤) سورة ص آية : ٢٨ .
(٤٥) سورة السجدة آية : ١٨ .

٣ - اقـــام الصـــلاة

قال تعـالى : (يا بنى اقـم الصـلاة) ٠

الـربـــط :

لمـا نهى لقمـان ابنه أولا عن الشـرك وأخبره ثانيا بعلمـه تعالى وباهر قـدرته امـره بما يتوسل به الى الله من الطاعات ، فقال (**يا بنى اقـم الصـلاة وأمـر بالمعـروف وانه عن المنـكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عـزم الأمـور**) ٠ وبـدا بالصـلاة ، لأنها أشرف الطاعات حيث يتوجه الى الله بهـا ٠و فى قـوله (يا بنى) ثلاث قـراءات :

الأولى : فتح اليـاء مشددة لحفص والبزى ٠

والثـانية : اسكانها مخففـة لقنبـل ٠

والثالثـة : كسـرها مشـــددة للباقين(٤٦) ٠ وذكـروا فى تفسير اقـامة الصـلاة وجـوها :

احـدها : أن اقامتها عبـارة عن تعديل أركانها وحفظها من أن يقع خلل فى فرائضها وسننها وآدابها ، من أقـام العود اذا قـومه ٠

وثانيها : أنها عبـارة عن المداومة عليهـا ،

وثالثها : أنها عبـارة عن التجـرد لأدائها وأن لا يكون فى مؤديها فتـور ٠

ورابعهـا : اقامتها عبارة عن أدائها ، وانما عبر عن الأداء بالاقامة، لأن القيـام بعض أركانها ٠

---

(٤٦) البدور الزاهـرة في القراءات العشر المتواترة : ص ٢٥١ ٠

والصلاة لها وجوه فى اللغة :

أحدها : أنها دعاء ، وثانيها : قال الخارزنجى : اشتقاقها من الصلى وهى النار من قولهم : صليت العصا اذا قومتها بالصلى ، فالمصلى كأنه يسعى فى تعديل باطنه وظاهره مثل من يحاول تقويم الخشبة بعرضها على النار . وثالثها : أن الصلاة عبارة عن الملازمة . أما فى الشرع فهو عبارة عن أفعال مخصوصة يتلو بعضها بعضا مفتتحة بالتحريم مختتمة بالتحليل (٤٧) .

والصلاة أقدم عبادة عرفت مع الايمان ولم تخل منها شريعة من الشرائع - وقد حكيت عن الأنبياء والمرسلين . فابراهيم عليه السلام يسكن ذريته بواد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم ويقول : « **ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** »(٤٨) ويجىء فى عهد الله اليه والى ولده اسماعيل « **أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود** »(٤٩) وتنادى الملائكة عيسى عليه السلام « **يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** »(٥٠) ، وعيسى عليه السلام يحدث بنعمة الله عليه فيقول : « **وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة** » مادمت حيا »(٥١) وينوه الله بشأن اسماعيل فيقول : « **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا** »(٥٢) ويأخذ الله الميثاق على بنى اسرائيل فتكون اقامة الصلاة من أهم مواده وعناصره ، قال تعالى : « **وإذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل**

---

(٤٧) التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٢/٢ .
(٤٨) ابراهيم آية : ٣٧ .
(٤٩) البقرة آية : ١٢٥ .
(٥٠) آل عمران آية : ٤٣ .
(٥١) مريم آية : ٣١ .
(٥٢) مريم آية : ٥٥ .

لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »(٥٣) .

والصلاة واجبة على المسلم مادامت روحه فى جسده ، فليس يجوز له أن يتكاسل عنها أو يفرط فيها ، فالمريض يتيمم ان لم يستطع الوضوء . ويصلى قاعدا أو بالايماء ان كان مستلقيا على فراشه . والمقاتلون فى ميادين الوغى مكلفون كذلك بالصلاة لا يجوز أن ينشغلوا عنها ولا أن يضيعوا وقتها ، قال تعالى : « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون** »(٥٤).

ولقد شدد القرآن الكريم النكير على من يفرط فيها وهدد الذين يضيعونها فقال جل شأنه « **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا** »(٥٥) . وعن ابن جريج حدثنا أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول أو قال جابر قال : قال رسول الله - ﷺ - (ليس بين العبد وبين الشرك أو بين الكفر الا ترك الصلاة))(٥٦) وعن عبد الله بن عمرو عن النبى - ﷺ - أنه ذكر الصلاة يوما فقال : من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة من النار يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا نجاة ولا برهانا وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف(٥٧) .

---

(٥٣) البقرة آية : ٨٣ .
(٥٤) البقرة آية : ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
(٥٥) مريم آية : ٥٩ .
(٥٦) سنن الدارمى ٢٨٠/١ باب فى ترك الصلاة .
(٥٧) سنن الدارمي ٣٠٢/٢ - باب في المحافظة على الصلاة .

٤ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

قال تعالى : « **وأمر بالمعروف وانه عن المنكر** » ..

الربط :

بأداء الصلاة يصبح الانسان كاملا فى نفسه ومهيئا لأن يكمل غيره ولذلك بعدما أمر لقمان ابنه باقامة الصلاة أتبع ذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال « **وامر بالمعروف وانه عن المنكر** » والمعروف : ما أمر به الشرع واستحسنه العقل السليم - والمنكر : ما نهى عنه الشرع واستقبحه العقل السليم . ولقد جعل الاسلام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرضا من فروض الدين وعنصرا من عناصر الحياة الطيبة . وأقسم الله سبحانه بالعصر أن الانسان لا يسلم من خسران فى هذه الحياة الا اذا ضم الى ايمانه وعمله بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر . وهما عماد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ولقد قص القرآن مصير الأولين الذين انحطت فيما بينهم الفضيلة ، وتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى تركز البغى فيما بينهم ، واستشرى الفساد فى جميع شئونهم قال تعالى : « **فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** »(٥٨) . وقال تعالى : « **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** »(٥٩) .

---

(٥٨) هود آية : ١١٦ ، ١١٧ .
(٥٩) المائدة آية : ٧٨ .

وقد تلقى المسلمون الأولون هذا المبدأ العظيم ، وعرفوا به مسئوليتهم عن الناس ، ومسئولية بعضهم عن بعض ، فدعوا غيرهم الى الحق ، وقاموا فيما بينهم بالنصح والارشاد ، وتقبل المنصوحون من الناصحين شاكرة السنتهم مطمئنة قلوبهم ، قال تعالى : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** »(٦٠) **من أجل ذلك استقامت شئونهم وتقدمت بهم الحياة** ، وكانوا أقوياء أعزاء يملون ولا يملى عليهم ويقولون ويفعلون . قال تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** »(٦١) وذلك مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به .

وظلوا كذلك حتى نبتت فيهم جراثيم الهوى والشهوة فافسدت عليهم تصورهم للحياة ، وظنوها مادة عليها يتنافسون وأموالا وجاها وملكا بها يتفاخرون . وانحلت من بينهم الروابط **واندفعوا** فى طريق الجاهلية الأولى يرون المنكر فيسكتون عنه بل يدافع كل منهم عن سفهائه ويتعصب لأوليائه ، ونسوا بذلك حبل الله فانساهم أنفسهمو سلط عليهم شرارهم وأعداءهم . فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نجاه وعدم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هلاك .

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله - ﷺ - مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فى البحر فاصاب بعضهم أعلاها ، وأصاب بعضهم أسفلها فكان الذين فى البحر أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين فى أعلاها فقال الذين فى أعلاها : لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا فقال الذين فى أسفلها فانا ننقبها فى أسفلها فنستقى فان أخذوا على أيديهم فمنعوهم

---

(٦٠) التوبة آية : ٧١ .
(٦١) آل عمران آية : ١١٠ .

نجوا جميعا وان تركوهم غرقوا جميعا . قال الترمذى : هذا حسن صحيح(٦٢) .

والناس فى تغيير المنكر درجات القوة لمن بيده الأمر فالسلطان يقيم الحدود والتعزير ويأمر بالحبس والاطلاق والنفى والتغريب ، والنصح باللسان للعلماء ، وتغيير المنكر بالقلب للضعفاء العوام من الناس . عن ابن شهاب أن رسول الله - ﷺ - قال (من رأى منكم منكرا فلينكره بيده ، ومن لم يستطع فبلسانه ، ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح(٦٣) .

آداب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

والآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ينبغى أن يبدأ بنفسه ثم يأمر غيره فينهاه عن المنكر ولقد أحسن من قال :

وابدأ بنفسك فانهها عن غيها

فاذا انتهت عنه فانت حكيم(٦٤)

وكفى بالمرء اثما أن ينهى عن شىء ويفعله أو أن يأمر بشىء ولا يفعله . قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** »(٦٥) .

وعن أسامة بن زيد قال : قيل له : ألا تدخل على عثمان فتكلمه فقال : أترون أنى لا أكلمه الا أسمعكم والله لقد كلمت فيما بينى وبينه مادون أن أفتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه

---

(٦٢) سنن الترمذى ٣١٦/٣ - باب ماجاء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
(٦٣) سنن الترمذى ٣١٥/٣ - باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
(٦٤) تفسير القرطبى ١٦٧/١ .
(٦٥) الصف آية : ٢ .

ولا أقول لأحد يكون على أميرا انه خير الناس بعدما سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يافلان : مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه(٦٦) .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ينبغى أن يكون بالرفق ، لأن العنف لا يجدى ، قال تعالى : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** »(٦٧) .

والآمر بالمعروف والناهى عن المنكر يجب أن يكون عالما ، قال تعالى : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** »(٦٨) ، فـ (من) فى قوله (منكم) للتبعيض والمقصود : العلماء . قال القرطبى : وهذا يدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على الكفاية . قال تعالى : « **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** »(٦٩) وليس كل الناس مكنوا(٧٠) .

* * *

(٦٦) صحيح مسلم بشرح النووى ١١٨/١٨ - باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله .
(٦٧) الاسراء آية : ١٢٥ .
(٦٨) آل عمران آية : ١٠٤ .
(٦٩) الحج آية : ٤١ .
(٧٠) القرطبى ١٦٥/٤ .

٥ ـ الصبر على الشدائد والمحن

قال تعالى : « **واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** » .

الربط :

الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر غالبا ما يتعرض للأذى ؛ ولذلك جاءت وصية لقمان لابنه بالصبر على الأذى بعد وصيته له بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال : « **واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** » .

والصبر فى اللغة : الحبس(٧١) . فالصبر : حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكى ، والجوارح من لطم الخدود وشق الثياب ونحوها . وأما حقيقته : فهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل مالا يحسن ولا يجمل . وهو قوة من قوى النفس التى بها صلاح شأنها وقوام أمرها(٧٢) وعزم الأمور : قطع الطريق على التردد فيها بعد العزم والتصميم . والاشارة تعود فى قوله ان ذلك ، على الصبر أى الصبر على ما أصابك عند ابن جبير وهو يناسب افراد اسم الاشارة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو منزلته فى الفضل أو الاشارة الى الصبر والى سائر ما أمر به(٧٣) .

وقال سبحانه فى سورة (الشورى) « **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** »(٧٤) بادخال اللام فى الخبر (لمن عزم

---

(٧١) لسان العرب (حبس) .
(٧٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم /١٥ .
(٧٣) روح المعانى للألوسى ٨٩/٢١ .
(٧٤) الشورى آية : ٤٣ .

الأمـور ،) بخـلاف مافى لقمـان ، لأن الصـبر على المـكروه الذى هـو ظـلم أشـد من الصـبر على الذى ليس بظـلم(٧٥) ٠

والآيـة فيهـا توجيـه الى الصـبر على الشـدائد والمحن لاسـيما فى اقـامة الصـلاة والأمـر بالمعـروف والنهى عن المنـكر ٠ والداعيـة الى الله يحتـاج الى الصبر على ما يصيبه من التـواء النفـوس وعنادها وانحـراف القـلوب واعراضها ، ومن الأذى تمتـد بـه الألسـنة وتمتـد بـه الأيـدى ، ومن الابتلاء فى المـال والابتلاء فى النفس عند الاقتضاء٠ ان موكب الدعـوة الى الله موغـل فى القـدم ضـارب فى شـعاب الزمن مـاض فى الطـريق اللاحب ، مـاض فى الخـط الواصب ، مسـتقيم الخطى ، ثابت الأقـدام ٠ يعترض طريقـه المجرمون من كل قبيـل ، ويقـاومه التابعون من الضـالين والمتبوعون ، ويصيب الأذى من يصـيب من الدعـاة ، وتسـيل الدمـاء وتتمـزق الأشـلاء ٠ والموكب فى طريقه لا ينحنى ولا ينثنى ولا ينكص ولا يحيـد ٠٠٠ والعاقبة هى العاقبة مهمـا طـال الزمن ومهمـا طـال الطـريق ٠٠٠ ان نصر الله دائمـا فى نهـاية الطـريق مع الصـبر ، قـال تعـالى : « **ولقـد كذبت رسـل من قبـلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهـم نصرنا ولا مبـدل لكلمات الله ولقـد جـاءك من نبـأ المرسـلين** »(٧٦) فبالصبر يتحقق الفلاح ، قـال تعـالى : « **يا أيهـا الذين آمنـوا اصبروا وصـابروا ورابطوا واتقوا الله لعلـكم تفلحـون** »(٧٧) ، وعن أبى سـعيد الخـدرى أن ناسـا من الأنصـار سـألوا رسـول الله ـ ﷺ ـ فأعطاهم ثم سـألوه فأعطاهم حتى اذا نفـذ ما عنده قـال ما يكن عندى من خيـر فـلن أدخـره عنـكم ومن

---

(٧٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقيسابورى ٣٦/٢٥ ، ط٠ مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ٠
(٧٦) الأنعـام آيـة : ١٣٤ ٠
(٧٧) آل عمران آيـة : ٢٠٠ ٠

يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يصبر يصبره الله وما أعطى أحد من عطاء خيرا وأوسع من الصبر(٧٨) .

٦ - التواضع

قال تعالى : « **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** » .

الربط :

حين وصى لقمان ابنه أن يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره خشى عليه أن يتكبر على الغير فقال : « **ولا تصعر** » .. الخ الآية . يقال : اصعر خده وصاعره من الصعر بفتحتين وهو داء يصيب البعير يلوى منه عنقه(٧٩) وقرأنا نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائى بألف بعد الصاد وتخفيف العين والباقون بحذف الألف وتشديد العين(٨٠) ..

والأسلوب القرآنى يختار هذا التعبير (ولا تصعر) للتنفير من الحركة المشابهة للصعر . حركة الكبر والازورار وامالة الخد للناس فى تعال واستكبار ؟ والمعنى أقبل على الناس بكل وجهك تواضعا لا بشق العادة كالمتكبرين . والكبر صفة من صفات الله (المتكبر) لا ينبغى أن ينازعه فيها أحد . عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال هناد قال : قال رسول الله - ﷺ (قال الله عز

---

(٧٨) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٥/٧ - باب فضل التعفف والصبر والقناعة والحث على كل ذلك .

(٧٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى على هامش الطبرى ٥٧/٢٠ .

(٨٠) البذور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ص٢٥١ .

النجل : الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار »(٨١) والذى فى قلبه أدنى شىء من الكبر لا يدخل الجنة بحال من الأحوال ـ عن عبد الله قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ لا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء(٨٢).

قوله « **ولا تمش فى الأرض مرحا** » أى مختالا « **إن الله لا يحب كل مختال فخور** » أى ان الله لا يحب كل مختال متكبر ذى فخر وقال تعالى « **ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** »(٨٣) فالانسان لا يبلغ شيئا من الأجسام الضخمة التى خلقها الله فليتواضع لكى يرفعه الله ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ـ ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد(٨٥) ، ومن التواضع القصد فى المشى وغض الصوت ، قال تعالى : « **واقصد فى مشيك** » أى تواضع فى مشيتك اذا مشيت ولا تستكبر ولا تستعجل ولكن اتئد « **واغضض من صوتك** » أى اخفض من صوتك فاجعله قصدا اذا تكلمت « **ان أنكر الأصوات لصوت الحمير** » عن قتادة : أى أقبح الأصوات لصوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق(٨٦) والحمار مثل فى الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم

---

(٨١) سنن أبى داود ٥٩/٤ ـ كتاب اللباس ـ باب ماجاء فى الكبر .
(٨٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٨٩/٢ ـ باب تحريم الكبر وبيانه .
(٨٣) الاسراء آية : ٣٧ .
(٨٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤١/١٦ .
(٨٥) سنن أبى داود ٢٧٤/٤ ـ باب فى التواضع .
(٨٦) تفسير الطبرى ٤٩/٢٠ .

لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون : الطويل الأذنين كما يكنى عن الأشياء المستقذرة ـ فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وأنهم جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة فى الذم والتهجين وافراط فى التثبيت عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان(٨٧) . والحمير : جمع الحمار وانما لم يقل أصوات الحمير ، لأن المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق وغير الناطق له صوت وان أنكر هذه الأجناس : صوت أفراد هذا الجنس . قال بعض العقلاء : من نكر صوت هذا الحيوان أنه لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفى أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق . وأما سائر الحيوانات فلا يصيح الا لحاجة . وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ ـ قال : اذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا)(٨٨) وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ اذا سمعتم نباح الكلب ونهيق الحمار بالليل فتعوذوا بالله فانهن يرون مالا ترون(٨٩) .

* * *

---

(٨٧) الكشاف ٣/٢٣٤ .
(٨٨) سنن أبى داود ٤/٣٢٧ ـ كتاب الأدب ـ باب ماجاء فى الديك والبهائم .
(٨٩) المرجع السابق .

الفصل الخامس
أساليب مناهج التربية فى وصايا لقمان

ان من أساليب مناهج التربية فى القرآن ذكر القصص وضرب الأمثال . ولا يخفى ما للقصص فى التعليم من تأثير على خيال السامع وشرح لصدره ، وتعزية وأسوة للمجاهدين والصابرين والمصابين والمحرومين ، وكذلك لا يخفى ما لضرب الأمثال من تيسير الفهم وتجلية الحق . ولذلك أكثر القرآن من القصص وكرره تارة بايجاز ، وتارة باسهاب . وهذه وصايا لقمان سيقت فى القرآن أثناء ذكر قصة لقمان ـ سيقت تلك الوصايا فى منهج تربوى يبرز أهمية التربية السليمة وأثرها على الأفراد والجماعات فالوصية الأولى من وصايا لقمان غرس للعقيدة السليمة ـ عقيدة التوحيد ، اسلام الوجه لله ـ والتوحيد من أعظم أساليب تربية النفس ، لأن فيه تحريرا للانسان من رق البشر وتوجيها الى عبودية الله . وصلة الانسان بالله على أساس من العقيدة السليمة الراسخة ، ومن اليقين القوى الثابت أعظم قوة لاشاعة الخير فى حياة الانسان ولتطهير قلبه ووقايته الشرور وللسمو به الى معارج الكمال . ثم بعد ذلك تأتى الوصية الثانية .. باقامة الصلاة التى هى بمثابة تقوية وتثبيت لعقيدة الفرد . فالصلاة انفصال عن كل ما سوى الله من أجل الاتصال بالله فهى توحيد ، ومن هنا كان بدؤها الله أكبر لتشعر الانسان من المبدأ أن جميع مافى العالم من مادة وجميع مافى العالم من بشر تتعلق بهم الآمال أو نيط بهم الرجاء فان الله أكبر منهم وأجل وأعظم فيجب أن تتعلق به الآمال وحده وأن يقتصر الرجاء عليه سبحانه ثم تتوالى جميع الأوضاع فى الصلاة من قراءة وركوع وسجود وتشهد لتعلن بكل حركة وبكل وضع الانفصال عما سوى الله من أجل الاتجاه الى الله وحده ، ومن أجل اسلام الوجه اليه سبحانه . والصلاة من أبدع مكونات الضمير وأقوى رباط بين العبد وربه . وفى تكرارها طرفى النهار وزلفا

من الليل ما يعمر الوجدان ويزيد القلب خشوعا فتسلس الغرائز الجامحة . وهذا معنى قول القرآن « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »(٩٠) .

وتلى تلك الوصية الوصية بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أعظم ركائز الاصلاح والزجر فى المجتمع . ولو أن الرأى العام درج على اظهار الاستنكار والاحتقار للمجاهرين بالالحاد والمستهترين بالدين والمفاخرين بترك الشعائر والساخرين من أحكام الشرع لأحدث ذلك أثرا عظيما فى الاصلاح ثم الوصية بالصبر الذى هو ملاك الايمان وزينة الانسان وما من فضيلة الا وهو دعامتها فان كان صبرا عن الشهوات سمى عفة ، وان كان على احتمال مكروه كان رضى وتسليما ، وان كان على النعمة وشكرها كان ضبطا للنفس وحكمة ، وان كان فى قتال سمى شجاعة وقوة وان كان بين يدى حماقة أو سفه سمى حلما ، وان كان بكتمان سر سمى صاحبه كتوما وأمينا ، وان كان لفضول فى العيش أو الحديث سمى زهدا فالمرء بدونه فى الحياة عاجز ضعيف لا طاقة له بما قد يثقله ولا حول ولا قوة بين يدى أمر يشق عليه . ثم تختم الوصايا بالتنفير من الكبر والترغيب فى التواضع ، لأن المتكبر يكرهه الله لبطره ونسيان نعمته فالله سبحانه خلق الخلق وأنزل الكتاب لتكون الطاعة له وحده والكبر ينافى ذلك ، وكذلك يكرهه الناس لانتفاشه وتعاليه أما المتواضع فهو محبوب من الله محبوب من الناس . وفى الحديث (من تواضع لله رفعه الله فهو فى نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استكبر وضعه الله فهو فى نفسه كبير وعند الناس حقير)(٩١) .

---

(٩٠) العنكبوت آية : ٤٥ .
(٩١) رواه ابن كثير فى التفسير ٣/٤٠ ، ط. الشعب .

الخاتمـــة

والحمـد لله والصـلاة والسـلام على أشـرف المرسلين سيدنا محمـد وعلى آله وأصـحابه أجمعـين ٠

وبعـــد ،،

فأحمـد الله أن جعلنـا خدامـا لكتـابه نتزود منـه ما يفيدنا فى الدنيـا والآخـرة ٠٠

وبعـد هـذه الدراسة التحليلية الموضوعية للثمـان آيات من سـورة (لقمـان) التى تناولت خبـر لقمـان ووصـاياه لابنـــه أستطيع أن أذكـر النتـائج الآتيـة :

١ ـ لقمـان حكيـم وليس نبى ٠

٢ ـ القصص القرآنى من أعظـم وسـائل التربية والتهـذيب ٠

٣ ـ شـكر النعمـة أسـاس دوامهـا ، وكفـر النعمـة أسـاس زوالها ٠

٤ ـ صـلة الانسـان بالله على أسـاس من العقيـدة السليمة الراسـخة الثابتـة ومن اليقـين القـوى الثابت أعظـم قـوة لاشاعة الخيـر فى حيـاة الانسـان ولتطهير قلبـه ووقايته الشـرور وللسمو بنـه الى معـارج الكمـال ٠

٥ ـ بـر الوالدين واجـب ولـو كـانا مشركـين ٠

٦ ـ الله يحاسب على كـل كبيـرة وصغيرة فـلا تحقـرن من الأعمـال شـيئا لأنـه لا تخفى عليـه خافيـة ٠

٧ ـ الصـلاة أقـدم عبـادة عرفت مع الايمـان ولم تخـل منها شريعة من الشرائع ٠

٨ ـ الأمـر بالمعـروف والنهى عن المنكر أعظـم ركـائز الاصلاح والزجر فى المجتمـع ٠

٩ - الصبر ملاك الايمان وزينة الانسان .

١٠- المتكبر مكروه من الله ومن الناس والمتواضع محبوب من الله ومن الناس . والله أعلم ..

هذا ونسأل الله سبحانه ألا يؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وأن يدفع عنا الاصر وأن يجعله زخرا لنا فى معاشنا ويوم معادنا وأن يجزينا على نياتنا انه سميع مجيب ، وصلى الله على سدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د. المجمدى عبد الرحمن

انتهى فى ضحى يوم الثلاثاء ١٠ من رجب ١٤١٢ هـ
الموافق ١٥ من يناير ١٩٩٢ م .

أهـم المراجـع ـ حسـب ورودهـا في البحـث

١ ـ القـرآن الكـريم ٠

٢ ـ الاتقان في علوم القـرآن للسيوطى ط٠ دار المعرفة ـ بيروت لبنان٠

٣ ـ البحـر المحيـط لأبى حيـان ط٠ دار الفـكر ٠

٤ ـ روح المعـانى للألوسى ط٠ دار احياء التراث العـربى ـ بيروت ٠

٥ ـ الكشاف للزمخشرى ط٠ دار المعـرفة ٠

٦ ـ الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ط٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

٧ ـ دائـرة معارف القـرن العشرين ، وجدى ط٠ دار المعرفة ـ بيروت٠

٨ ـ جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ط٠ الريان للتراث

٩ ـ تفسـير القـرآن العظيـم لابن كثيـر ط٠ الشعب ٠

١٠ـ التفسـير الكبيـر للفخر الرازى ط٠ دار الفـكر ٠

١١ـ البرهان في علوم القـرآن للزركشى ط٠ دار المعرفة ـ بيروت لبنان٠

١٢ـ لسـان العرب لابن منظور ط٠ دار المعـارف ٠

١٣ـ سـنن ابى داود ط٠ دار احياء التراث العـربى ٠

١٤ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ط٠ دار الكتاب العربي بيـروت ٠

١٥ـ صحيح البخارى ط٠ الشـعب ٠

١٦ـ سـنن الترمذى ط٠ المـدنى ٠

١٧ـ سـنن الدرامى ط دار ابو المحاسن للطباعة ٢٤١ ش الحسن بالقاهر ٠

١٨ـ مسـند الامـام احمـد بن حنبـل ط٠ بيروت ٠

١٩ـ التبصرة للضميرى تحقيق الدكتور فتحي علي الدين ، ط٠ مركـز البحث العـلمي بمكة المكرمة ٠

٢٠- **ظلال القرآن** لسيد قطب ط٠ دار الشروق ٠

٢١- **صحيح مسلم بشرح النووى** ط٠ المطبعة المصرية - ومكتباتها - ٠

٢٢- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** للنيسابورى ط٠ مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ٠

٢٣- **تفسير البيضاوى** - ط٠ مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ٠

٢٤- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين** لابن القيم - ط٠ المكتبة القيمة ٧٤ ش مصر والسودان - حدائق القبة ٠